نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٣٢ — فافطن لأمرك . . .

قال أبو حيان التوحيدي : جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء : قال لي مرة : أما ترى إلى خطأ صاحبنا — وهو يعني ابن العميد — في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة : لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق .

فقلت — بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف — : أيها الشيخ ! أسألك عن شيء واحد فاصدق فإنه لامدب للكذب بيني وبينك ، لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تتخيله في نفسك مخطئا ومبذراً ومفسداً أوجاهلاً بحق المال ، أو كنت تقول : ما أحسن مافعل ، وياليته أربى عليه . فان كان الذي نسمع على حقيقته فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف ، وتختار المختار ؛ فافطن لأمرك .

٦٣٣ — وأكره أن يكون علي دين

خطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق[1] ؟ وارتفع السجف[2] فرأى شيئاً كرهه ؛ فقال والله ماعندي نقد ، وإني لأكره أن يكون عليّ دين . . .

٦٣٤ — نحن إلى إمام فعال أحوج منا إلى إمام قوال

في (محاضرات الراغب) :

كان أبو بكر بن قريعة[1] (قاضي السندية[2] وغيرها من أعمال بغداد) من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالأجوبة عن جميع ما يسأل عنه في أفصح لفظ ، وأملح سجع . وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء يداعبونه ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الأجوبة من غير توقف ولا يكتب إلا مطابقاً لما سألوه . فمن ذلك ما كتب به بعض الفضلاء : ما يقول القاضي (أيده الله تعالى) في رجل سمّى ولده مداماً ، وكنّاه أبا الندامى ، وسمى ابنته الراح ، وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده الشراب ، وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة ، وكناها أم النشوة ، أينهى عن بطالته ، أم يؤدب على خلاعته ؟

فكتب تحت السؤال : لو نُعت هذا لأبي حنيفة ، لأقعده خليفة[3] ، وعقد له رايه ، وقاتل تحتها من خالف رايه . ولو علمنا مكانه ، لقبلنا أركانه . فان أتبع هذه الأسماء أفعالا ، وهذه الكنى استعمالا ، علمنا أنه أحيا دولة المجون ، وأقام لواء ابنة الزرجون[4] ، فبايعناه وشايعناه . وإن تكن أسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته ، وفرقنا جماعته ؛ فنحن إلى إمام فعال ، أحوج منا إلى إمام قوال .

٦٣٥ — يمشي في جنازته

في (معجم البلدان) لياقوت :

مسعر بن مهلهل في رحلته : بلغنا أن نصر بن أحمد السعيد الساماني (صاحب خراسان وماوراء النهر) عمل قبره قبل وفاته بعشرين سنة ؛ وذلك أنه حدّ له في يوم مولده مبلغ عمره ، وأن موته يكون بالسل ، وعرف اليوم الذي يموت فيه ، فخرج يوم موته إلى خارج بخارا ، وقد أعلم الناس أنه ميت في يومه ذلك ، وأمرهم أن يتجهزوا له بجهاز التعزية والمصيبة ، فسار بين يديه ألوف من الغلمان وقد

---

(١) الصداق : — بفتح الصاد وكسرها مشددة — مهر المرأة والجمع أصدقة وصدق — بضم الصاد والدال — اللسان)

(٢) السجف : الستر .

(١) اسمه محمد بن عبد الرحمن ، وفاته — سنة (٣٦٧) وعمره (٥٠) سنة

(٢) السندية : قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار والنسبة إليها سندواني للفرق بينها وبين بلاد السند (ابن خلكان)

(٣) الزمخشري : كلمات السجع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ولا يتم ذلك إلا بالوقف وإلا ذهبت أيادي سبا .

(٤) الزرجون : الخمر

ظاهروا اللباس بالسواد ، ثم تبعهم نحو ألف جارية ، ثم جاء عامة الجيش والأولياء حاثين التراب على رؤوسهم ، واتصلت بهم الرعية والتجار فى بكاء شديد . وشهر هو نفسه بضرب من اللباس ، ثم جاء أولاده يمشون بين يديه حفاة وبين أيديهم وجوه كتابه وخدمه وقواده ، ثم أقبل القضاة والعلماء يسايرونه فى غم وكآبة ، وأحضر سجلا كبيراً ملفوفاً فأمر القضاة والكتاب بختمه ، وأمر نوحاً ابنه أن يعمل بما فيه . واستدعى شيئاً من حساء فى زبدية من الصينى ثم تناول منه شيئاً ثم تغرغرت عيناه بالدموع وتشهد ، وقال : هذا آخر زاد نصر من دنياكم ، وسار إلى قبره ودخله وقرأ عشراً فيه ، واستقر به مجلسه ، ومات . . . ! ! !

٦٣٦ — يحب البلاء لماسه كريم

أبو سعيد المخزومى :

إذا كنت فى بلدة نازلا ... وحل الشتاء حلول المقيم
فلا تبرزن إلى أن ترى ... من الصحو يوماً صحيح الأديم .
فكم زلقة فى حواشى الطريق ... ترد الثياب بخزى عظيم
وكم من لئيم غدا راكباً ... يحب البلاء لماس كريم

٦٣٧ — لولا المشقة

قال ابن خلكان : بلغنى أن ابن مطروح كتب — قبل ارتفاع درجته — رقعة تتضمن شفاعة فى قضاء شغل لبعض أصحابه أرسلها إلى أحد الرؤساء ، فكتب إليه ذلك الرئيس فى جوابه : هذا الأمر على فيه مشقة .

فكتب ابن مطروح جوابه ثانياً : « لولا المشقة »

فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده وهو قول المتنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر ، والإقدام قتال

٦٣٨ — لو جرم الله أثر الحسن فيك . . .

قال إسحق الموصلى : أنشدت الأصمعى شعراً لى ، على أنه لشاعر قديم :

هل إلى نظرة إليك سبيل ... يرو منها الصدى ويشف الغليل[1]
إن ما قل منك يكثر عندى ... وكثير من الحبيب القليل

قال لى : هذا - والله — الديباج[1] الخسروانى[2] .

فقلت له : إنه ابن ليلته ، فقال : لا جرم أن أثر التوليد فيه .

فقلت له : لا جرم أن أثر الحسد فيك . . .

(١) يرو : مجزوم بان مضمرة لوقوعه جوابا لاستفهام و (يشف) معطوف عليه .

(١) الديباج : الثياب المتخذة من الأبريسم (النهاية) الأبريسم الحرير . وفى (شفاء الغليل) : ديباج معرب ديوباف أى ناسجة الجن .

(٢) ثوب خسروانى وخسروى منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة (الأساس)

(٣) الرخ من أدوات الشطرنج معرب وضعوه تشبيها بالرخ الذى هو الطائر ، طائر كبير يحمل الكركدن ... ح رخخة (التاج) فرزان الشطرنج معرب فرزين وهو بمنزلة الوزير للسلطان وتفرزن اليدق صار فرزانا (التاج)

(٤) المرجون عود العذ ما بين شماريخه إلى منتهى من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانمراج وهو الانعطاف. (الكشاف) المرجون العذق إذا يبس واعوج (اللسان)

٦٣٩ — أشم نسيم قرطبة

قال ابن بشكوال : دخل الشيخ أبو بكر بن سعادة مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبى بكر المخزومى فسألنا : من أين ؟

فقلنا : من قرطبة !

فقال : متى عهدكما بها ؟

فقلنا : الآن وصلنا منها !

فقال : اقربا إلى أشم نسيم قرطبة . فقربنا منه فشم رأسى وقبله وقال لى اكتب :

أقرطبة الغراء هل لى أوبة ... إليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربى منك غمامة ... وقعقع فى ساحات روضتك الرعد
لياليك أسحار وأرضك روضة ... وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

٦٤٠ — سقارى . . .

السرى الرفاء :

وفتية زهر الآداب بينهم ... أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا ... والراح تمشى بهم مشى الفرازين[3]
غدوا اليها كأمثال السهام مضت ... عن القسى وراحوا كالمراجين[4]
وكان شربهم فى صدر مجلسهم ... شرب الملوك وناموا كالملاكين